

## «اللغات المفقودة»

### يكشف جهود شامبليون في فك الهيروغليفيات المصرية



الكتاب: اللغات المفقودة  
المؤلف: أندرو روبنسون  
الناشر: ماجرويل لندن - نيويورك  
ترجمة: مركز الخطوط - مكتبة الإسكندرية

يعد اختراع الكتابة واحداً من أهم الاختراعات البشرية. إن لم يكن أهمها جميعاً. ففون الكتابة ليس ثمة تاريخ للتبشيرة. ومع ذلك نحن ننظر إلى الكتابة على أنها مجرد أمر مسلم به. فنحن نتعلمها وتعلمها من واقع الرموز الصينية. ومع ذلك فنحن لا نتوقف قليلاً لنتمعن في الجهد العقلي - البدني الذي تحول أفكارنا إلى رموز نصحية على قطعة من الورق. وقليل من يعرف كيف تعلمت البشرية أن تخط و تكتب. والعمل الذي يترجمه هو كتاب «اللغات المفقودة» من تأليف أندرو روبنسون. وهو متخصص في اللغات القديمة. وفي الحقيقة فإن الترجمة الصحيحة للاصطلح الإنجليزي هي «اللغات المأثمة» لأنها ليست مفقودة، وإنما أهدت بالفعل. لكن آثارها لم تبق. وبمفسم هذا الكتاب إلى مقدمة بعنوان «مفردات الكتابة، الحضارات المشرقة» والكتابات ملونة بالألوان، وتتناول فيها أهم المنظومات الكتابية القديمة التي تم فك طلاسمها.

وقد جاء أول إنجاز في هذا المجال بفك طلاسم الكتابة الهيروغليفية على يد جان فرانسوا شامبليون في عام 1882م من خلال النقوش الواردة على «حجر رشيد»، الذي عثر عليه في عام 1799م في مدينة رشيد. ويعتبر حجر رشيد حجر الزاوية في فك رموز اللغة المصرية القديمة، حيث نقلت عليه ثلاثة خطوط تمثل لغتين هما: اليونانية، والحصرية القديمة في خطها الهيروغليفي، والديموطيقي. ومن خلال تحليل شامبليون لآسام الأعلام الواردة على حجر رشيد وفي نقوش مصرية أخرى من قبيل أسماء الإسكندر، بطليموس، قيصر، كليوباترا، إلى جانب الاستعانة باللغة القبطية على اعتبار أنها المرحلة الأخيرة من اللغة المصرية القديمة، تمكن من استخلاص الأصوات والمعاني للكلمات الهيروغليفية والديموطيقي.

هكذا انتصحت مساحات التاريخ المكتوب لتستوعب الفخ من السنين. وفي شهر مايو 1953 أن مايكل فنتريس بكل فخر وتبشوع عن فك طلاسم الكتابة الخطية الثانية التي كان قد تم فك طلاسمها سنة 1900 على ألواح من الصلصال في قصر الملك ميديوس في بلدة سوسوس في جزيرة كريت. وقد مهد ذلك الطريق أمام قراءة ألواح جديدة تم اكتشافها على أرض بلاد اليونان، وهكذا فإنه بعد جهود ضمنية وطويلة، أمكن التعرف على المعاني الخفية في الحروف الموقوتة على لوحات الصلصال. كما أصبحت الكتابة الخطية الثانية تمثل أول محاولة أوروبية متمثلة للكتابة، ترجع إلى الألفية الثانية قبل الميلاد، في لهجة قديمة باليونانية العتيقة.

يعالج الجزء الأول من هذا الكتاب في ثلاثة فصول متعاقبة جهود ثلاثة من المشاهير في هذا الميدان وهم: شامبليون وفك طلاسم الهيروغليفيات المصرية - وقد قام بترجمة هذا الفصل رمضان هاشم، وقام الدكتور عاكشة الدالي بمراجعتها - ثم مايكل فنتريس الذي فك الغاز الكتابة الخطية الثانية، وأخيراً تشوروزوف ومعالجته لكتابة

مايا في أمريكا الوسطى. وهذا العرض يبرز العناصر الأساسية التي أدت إلى نجاح هؤلاء العلماء الثلاثة في مهامهم، كما بين مقاربات كل منهم وطرائقهم المنهية في التوصل إلى أن العلامات الصوتية - مقطعية وأبجدية - والعلامات الصوتية - تصويرية أو غير تصويرية هي التي تؤلف منظومة الكتابة الفعالة. كما توضح هذه الإطلاة قدر الصعوبات التي واجهت هؤلاء العلماء - على المستويين العقلي والطائفي - وكذا الحديقة المقلقة بأن المشتغلين بذلك رموز الكتابات القديمة أحياناً ما يتوصلون إلى نتائج صائبة من خلال الفرضيات خاطئة. أما الجزء الثاني فإنه يتناول الكتابات المشرقة مرتبة حسب قواعد أساسية تقوم على مدى معرفة الخبراء بهذا النقش أو ذاك من حيث تعرفهم على اللغة التي نقش بها النص قيد المناقشة. أخيراً يتناول الجزء الثالث بعض الكتابات المشرقة تماماً، والتي تم فكها بلغات مجهولة تماماً - وهذا هو التحدي الأكبر للباحثين - من قبيل كتابة أهل نهر السند، ورموز أساطنة «فارسفوس».

أما خاتمة الكتاب، فهي تحول حول المحاولات التي لا تنقطع في حقل الكتابات المشرقة، ومن ثم فقد عرفت هذه الخاتمة بعنوان «فك الطلاسم مكملة مُخج». ولعل القارئ يتساءل عن الأسباب التي تجعل الكثيرين من الأفراد في مختلف بلدان العالم يولون أصر الكتابات القديمة كل هذا الاهتمام؟ وفي هذا الفصل الأخير من الكتاب يتبين للقارئ ما الذي يمنح لسان كافر أن يقتنع أن اللغة في هذا الميدان، بالعلمين الأعم، من خلال التحديات التي تطرحها عليها مهمة فك الطلاسم، وأيضاً من خلال منظومات الكتابة في العالم القديم بصفة شمولية.

## إصدارات

### مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية



صدر حديثاً عن المنظمة العربية للترجمة كتاب، يقع في 235 صفحة تحت عنوان «مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية»، تأليف دنيس كوش، ترجمة د. منير السعيداني ومراجعة د. الطاهر لبيب. في هذا الكتاب عرض مفصّل عن الثقافة وبحث مسارات وفهوم الثقافة واستخداماته في العلوم الاجتماعية، وهو لا يتوخى في الغالب وإلى شباب الباحثين فحسب وإنما إلى كل المهتمين بأسئلة الثقافة، كما طرحها العلوم الاجتماعية المختلفة. وإذا اعتبرنا ما عليه مفهوم الثقافة من سبب في التعريف والاستعمال، عربياً، فتنبّيت الحاجة إليه أكثر. هذا الكتاب يعرض حصيلته ثرية وكاملة للموضوع. إنه يقوم بتحليل كثيرة الألفة ويقدم أجوبة مثبته تدل على تمكن قوي من مجاله المعرفي. كل ذلك بإيقاع لا يخلت. إنه يمثل وسيلة فعّلة لا عنى عنها بالنسبة لعالم الاجتماع وللمؤرخ وللفيلسوف وللعالم النفس.

القبور في اليمن أثناء كتابتهم لها. وتتنوع بين أخطاء لغوية تخالف قواعد اللغة العربية، وأخطاء إملائية نتجت عن عدم إتقان الكاتب أو النقاش لقواعد الكتابة العربية، فضلاً عن الأخطاء في كتابة أسماء الأعلام ونسبهم، وأسماء الأيام والشهور، وأخطاء كتابية تواريخ الوفاة.

### العقوبات الشورية

أسد د. عارف أحمد إسماعيل المخالفي من اليمن، بظاهرة العنف التي طغت على حياة الأثوريين السياسية والحربية، مستعرضاً أساليب العقوبات الأثورية ضد العرب القدماء في شمال شبه الجزيرة العربية، في دراسة تحليلية في ضوء نصوص العصر الأثوري الحديث. وتُعنى هذه الدراسة بجانب مختلف تماماً، وتتأول جديد للظاهرة، فقد دار جدل كبير بين العلماء حول ما إذا كان العنف والقسوة من مميزات الشخصية الأثورية، أم أن الأمر فرضته ظروف الصراع والتنافس والتغيرات التي سادت الشرق القديم خلال الألفين الثاني والأول (ق.م). فقدم العلماء من أصر على أن الأثوري عنيف بطبعه، ومنهم من رأى أنه مدافع عن مصالحه. وبين العنف والدفاع ينع اهتمام هذه الدراسة، ولكن ليس من زاوية الإصرار أو الإنكار، بل تتعد عن الخوض في الظاهرة ذاتها. فقد فاضت بها الأبحاث والكتب، سواء تلك التي تحدثت عن التاريخ أو التي تحدثت عن الفنون، والكل أجمع على أن العنف والقسوة قد مورسا من قبل الأثوريين بكل نيام وتفاخر، وودن أننى تحفظ كما يظهر من نقوش الأثورية.

### الحضارة اللبونية

وفي دراسة حول المسولات التاريخية من النصوص المواقف الأثرية للحضارة الدلونية إلى نهاية العصر الحديدي، للدكتور علاء الدين عبد المحسن شهابين من جامعة القاهرة، يذكر أن الساحل الغربي للخليج العربي شهد حضارة مميزة خلال العصور البرونزية خاصة الحضارة اللبونية، وحتى نهاية العصر الحديدي، عرفت حضارة اللبونية، كتشف معول الحفر الأثري عن العديد من مواقعها، وأهم ما يعكس ملامحها الحضارية من منشآت مدنية، وبنية وجنازية، وتضمنت بالمثل ما عكس ملامح فنونها، وتطورها الفكري والعقائدي. لكن ظل هناك تساؤل واضح يتعلق بتلك الحضارة، بخصوص خصوصها المحلية، وهل عرف بالمثل أهل تلك الحضارة خطاً معتماً لها أم استخدموا ما هو سائد دولياً (حضاري) آنذاك، خاصة الخطوط السومرية والسندية، وفي مرحلة تالية العربية الجنوبية، «الإسمائية».

### تقش رمئية

قدم د. علي سعيد سيف محمد من جامعة صنعاء، بحثاً عن نقش إسلامي شاهدي ومرئية للإمام المنكزل على الله القاسم بن الحسن 1139 هجري/1727، بقيته الخريجة بمدينة صنعاء. فهذا النقش المرئية محضوران في الجدار الشرقي لبقعة التوكول الواقعة إلى الغرب من باب السراج بمدينة صنعاء، وهما يخصان الإمام المنكزل على الله القاسم بن الحسن المنكزي في شهر رمضان من سنة 1139 هجري/ الموافق مايو 1727م. وقد تفرقت في هذا المشهد المرئية العناصر الأساسية لكتابة الشواهد، منها اسم صاحب الشاهد الإمام المنكزل على الله القاسم بن الحسن وتاريخ وقائه باليوم والشهر والسنة، والسدي نص على وفاته - رحمة الله ورضوانه عليه - يوم الخميس الرابع والعشرين من رمضان من سنة تسع وثلاثين ومائة والف، إلى جانب توقيع الصانع أحمد بن صلاح السعدي، أما المرئية، فقد نقلت شعراً.

فيما يبرز فهمي على الأثري، جامعة صنعاء، من خلال ورقة بحثية نقلتها سكتانيا جديدا من نقوش الأهداء، وقد تم النقش على لوح برونزي إبعاده (24 × 17) سم وطول الحرف فيه 1.5 سم. ويصدر النقش مجهول لرفض صاحبه تحديد مكان العثور عليه. وقد عنده واحدة من المسائل التي تواجه الدراسات الأثرية في اليمن القديم، وهي علاقة مبرعة وأحياناً المراسم المواقف التي ترد في النقوش، والتي تصل إلى الباحثين بالصدفة، ويكون صهرها النص الضمني، وتبريز أهمية النقش في أنه يرد فيه اسم قبيلة «عصر» لأول مرة، وعصر حالياً هو اسم جبل يقع بقرب العاصمة صنعاء، ويخترقه الطريق الرئيسي المؤدي إلى مدينة الحديدة، وربما يدل هذا على أن هذا المكان كان مستقراً لهذه القبيلة، أو على الأقل تقبل له علاقة بالقبيلة.

## إصدار خاص لمكتبة الإسكندرية قراءة تاريخ العرب من خلال نقوشهم



مكتبة الإسكندرية

### توقيعات الصاع

بينما اختار إبراهيم عبيد من جامعة القاهرة، الكتابات المسجلية على السجاد الإيراني في التصريف الصوفي والقاجاري، ليقوم بدراسة لتوقيعات الصانع وتواريخ وأماكن الصنعة. فمن فن المائل في إطار المكوس، وقد سجلت هذه المكوس، في شكل مرسوم على المواد الصلبة للأحجار والرخام. وكانت هذه المراسم الخاصة بإسقاط المكوس تقراً على المقابر بعد صلاة الجمعة في أكبر جوامع العاصمة - كجامع العتيق أو الجامع الأزهر في مصر على سبيل المثال - ثم توضع في أماكن بارزة بالجوامع والمساجد حتى يشاهدها عامة الناس. وقد تم خلال زيارته للحرم القدسي على مرسوم يحمل اسم السلطان الأشرف أبي النصر قاجاري ومؤرخ في 19 من الحرم عام 881 هجري - وقد سُجّلت كتابات عبد المرسوم بالخط الثلث على لوح من الرخام، وهو مرسوم ينص على إبطال المظالم المختلفة لبعض الصانع بالقدس الشريف وجبل الخليل. ويقدم البحث النص الكتابي الخاص بهذا المرسوم، وهو ينشر للمرة الأولى، مع دراسة للنص الكتابي من حيث الشكل والوضوح، وتشمل هذه الدراسة نوع الخطوسا ورد في النص الكتابي من القاب، وما تستعمل عليه من دلالات أخرى. مع دراسة مقارنة لبعض المراسم الأخرى التي تحمل اسم قاجاري.

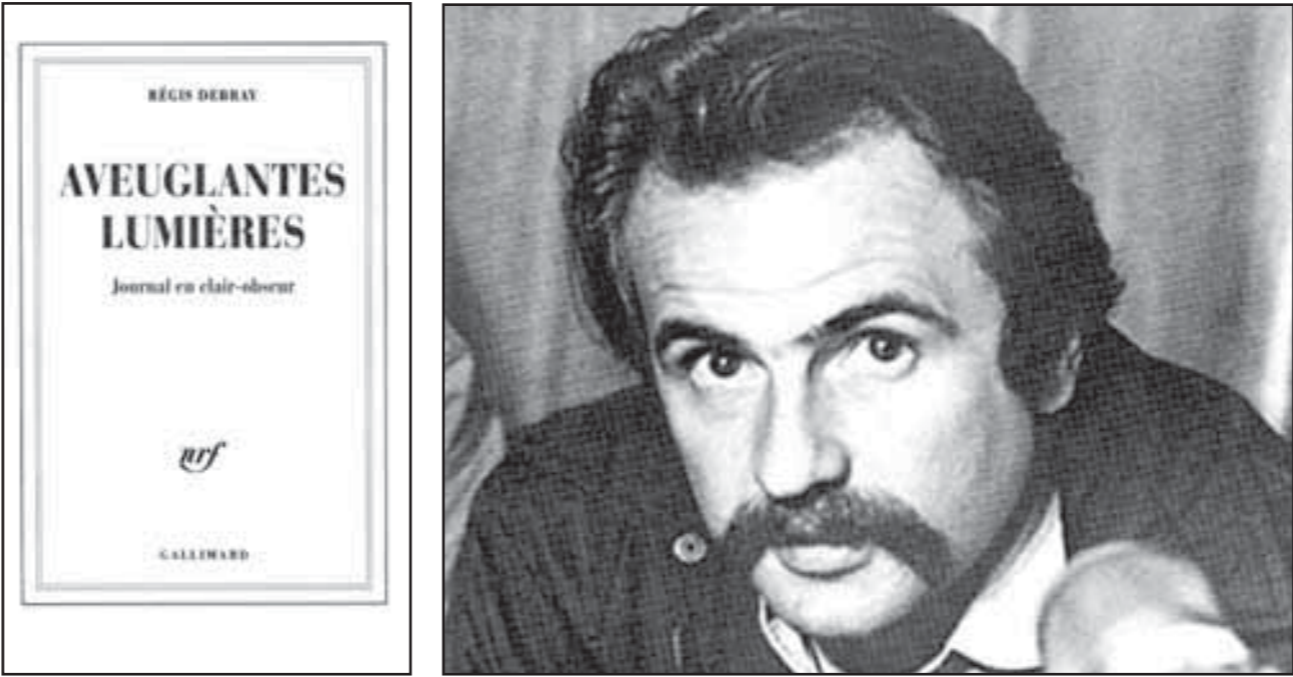
### مراسم إسقاط المكوس

ومن جامعة الفيوم يتكشف عارف عبد الدايم عبد الحى عن مرسوم باسم السلطان قاجاري بالبحرم القدسي الشريف، في خلال دراسة أثرية فنية عن العصر المملوكي الذي اشتهر برغبة سلاطين على المواد الصلبة للأحجار والرخام. وكانت هذه المراسم الخاصة بإسقاط المكوس تقراً على المقابر بعد صلاة الجمعة في أكبر جوامع العاصمة - كجامع العتيق أو الجامع الأزهر في مصر على سبيل المثال - ثم توضع في أماكن بارزة بالجوامع والمساجد حتى يشاهدها عامة الناس. وقد تم خلال زيارته للحرم القدسي على مرسوم يحمل اسم السلطان الأشرف أبي النصر قاجاري ومؤرخ في 19 من الحرم عام 881 هجري - وقد سُجّلت كتابات عبد المرسوم بالخط الثلث على لوح من الرخام، وهو مرسوم ينص على إبطال المظالم المختلفة لبعض الصانع بالقدس الشريف وجبل الخليل. ويقدم البحث النص الكتابي الخاص بهذا المرسوم، وهو ينشر للمرة الأولى، مع دراسة للنص الكتابي من حيث الشكل والوضوح، وتشمل هذه الدراسة نوع الخطوسا ورد في النص الكتابي من القاب، وما تستعمل عليه من دلالات أخرى. مع دراسة مقارنة لبعض المراسم الأخرى التي تحمل اسم قاجاري.

### المسوكات القبطية

يكشف فرج الله أحمد يوسف من كلية الآثار بجامعة القاهرة، عن تنوع الخطوط على المسوكات العربية قبل الإسلام. فقد كانت مملكة قتيان أول مملكة عربية تقوم بصيرب المسوكات منذ أواخر القرن الخامس قبل الميلاد، وكانت مسوكاتها تقليداً للمسوكات الأثريّة، وتميزت المسوكات القبطية بأضلاع حروف خط السند. وقد سجلت الكتابات على المسوكات العربية بحدود خطوط ولغات، فسجلت الكتابات على مسوكات ممالك جنوب الجزيرة العربية بخط السند، إلا أن بعض المسوكات القبطية والسندية سُجّلت عليها كتابات بالخطين الآرامي واللحاني، وهما من الخطوط التي كتبت بها ممالك شمال الجزيرة العربية، مما يشير إلى تداول هذه المسوكات في الممالك الشمالية. وسُجّلت الكتابات على مسوكات مملكة الأنباط

## ريجيس دوبريه يكشف أمر «الأنوار التي تعمي»



ريجيس دوبريه

غلاف كتاب «الأنوار التي تعمي»

### أفكار لرتف بوعودها

لا يتكرر دوبريه بالطبع أهمية أفكار عصر التنوير القرن الثامن عشر، وما نجح عنها من «تفسير للقبول» التي كانت تكبل حياة البشر. لكنه يرى أن شعار «الأنوار: إرت من أجل الغد، وجعله مثل شمعة، للاسترشاد بها. إنما يعنى إهمال «هيروشميا» وحريين كونيتيين والأف الجازء، تدل كلها أن أفكار التنوير، لم تَق بوعودها. وعلى أولئك الذين قد يقولون إن العيب ليس في «الأنوار»، وإنما في «الممارسة»، يجب ريجيس دوبريه «ربما يعيّل المرء للتفكير أنه بمقدار ما تخصصت شروط هيمنتها على الأنبياء - بما هي ذلك على الجسد الإنساني بواسطة الطب - زادت لدينا نزعة استبعاد بعضنا لبعض، وافتقارنا.

### التهار قيه عصر التنوير

يعود مؤلف هذا الكتاب إلى أحدث، كبير آخر عرفه عام 2006 وتمثل في بطولة كأس العالم لكرة القدم التي شهدتها ألمانيا، إنه يتحدث أولاً عن العديد من قراءاته التي يتخذ أصحابها بطغيان الرياضة، و«فنون كرة القدم»، والطعن الإنفعالي على مدرجات الملاعب. وغير هذا من الوصف التي تصب كلها فيما عير عنه أحدهم، ويتكلم بالإنفس عندما قال «إن الشور كلها تتعاظم بينما يخف الفكر، وذلك على

العصر يطبقها المؤلف على ضرورة مواجهة أشكال التنوير قرن التنوير على صعيد القديم؛ يجب تطرف الماضي.

وتتساءل، كيف يمكن اليوم الانتصار في حرب ثقفة لما يجري على الأرض؟ إنها معطيات العصر الضرورية. تصاف لها ضرورة معرفة العفو في كل الأحوال. ويتفق في هذا السياق عن أهم منظر استراتيجي في تاريخ الفلسفة، ضمن نسوة، قوله «أعرف عدوك كما تعرف نفسك وسوف تكسب مائة معركة». لكن احتقاره والسخرية منه «سوف يعرف السور في نفسك كذلك سوف تخسر الحرب، هكذا يتم تفسير الانتصار الولايات المتحدة على «إمبراطورية الشمس المشرقة»، أي اليابان، عام 1944 يانه يعود إلى اعتمادها على دراسات تخص الحالة الذهنية اليابانية من الداخل.

ثم ماذا أنتجت أفكار التنوير على صعيد دفع النزعة الإنسانية إلى الإمام؟ هنا يشير المؤلف إلى المجاز والمجاعات والمذبح الجماعية التي شهدتها بلدان عديدة في العالم، وذلك على قاعدة عدم عدو الآخر، بل محاولة إبادة وإزالة من الوجود عبر إبادة أطياب العدو.

### مكتسبات التنوير

هذا، مع كل ما يتناقض مع مبدأ حرية البشر

الكتاب: الأنوار التي تعمي  
الكاتب: ريجيس دوبريه  
الناشر: عالميات - باريس 2006  
الصفحات: 204 صفحات من القطع المتوسط

ريجيس دوبريه، أحد أشهر المفكرين الفرنسيين المعاصرين، بدأ سنوات شبابه متاضلاً بسباريا. ترك فرنسا وحياتها «البورجوازية»، مع يعيش في ثوار أميركا اللاتينية. هناك تعرف على تشي غيفارا وفيلد كاسترو وأضحى أحد أشهر في السجنين بسبب نشاطاته الثورية المحفورة. عمل لفترة من الزمن مستشاراً لشؤون أميركا اللاتينية لدى الرئيس الفرنسي الراحل فرانسوا ميتران، وتفرغ بعد ذلك للكتابة حيث أولى في السنوات الأخيرة اهتماماً خاصاً بدور وسائل الإعلام في المجتمعات الحديثة.

والف وريجيس دوبريه حوالي أربعين كتاباً في الفكر والسياسة والأدب والفلسفة من بينها «الثورة في الثورة»، و«السلطة الفكرية في فرنسا»، و«نقد العقل السياسي أو اللاوعي الديني»، و«حياة الصورة وموتها»، و«من أجل الفن»، و«الدولة الحذابة»، وعلى جيسر الفينون، وهذا كتاب عن المسرح، ومن رواياته: «غير المرغوب به»، الخ.

### أسئلة الذكاء

فرنسا هي بلاد «عصر التنوير»، خاصة في القرن الثامن عشر، «قرن التنوير»، كما يطلقون عليه، لكن رغم هذا كله تعود اليوم إلى المسرح تعالير وممارسات كان قد ساد الاعتقاد أنها قد أصبحت «مخطئة» في متحف التاريخ. بسلك الأحوال كانت غائبة عن «إنسان التنوير».

حسب تعبير ريجيس دوبريه الذي يشير في مقدمة كتابه «الأنوار التي تعمي» إلى بروز عدة ظواهر اجتماعية جديدة مثل مشاهدة نصف مليار نسمة لباريات كرة القدم وقيام ستة ملايين شخص سنويًا بزيارة ضريح اللعزاء في بلدة لوبور، الفرنسية طلياً له الشفاء من الأمراض المتعددة، وذلك على خلفية القناعة أنها قامت بمعجزات من نوع من «استقالة الذكاء».

وإضافة إلى ذلك كثيرة تدل بمجملها على نوع من «استقالة الذكاء».

رَجِيس دُوبْرِيه يؤكد على مدى صفحات هذا الكتاب أنه تجري عملية تزييف وتضليل كبيرة ضد أفكار عصر التنوير ولكن باسم هذه الأفكار تحديداً، ثم إن شعارات كبيرة يتم رفعها باسم العلم والعدالة والحرية، ولكن يخفي المتعن فيها عن قرب، كي يراها على حقيقتها.

### الشعارات لا تكفي

ما يؤكد دوبريه أن الشعارات لا تكفي ولا الاحتفاء وراء أفكار التنوير من أجل كسب المعارك الراهنة، وإنما ينبغي الناقل مع معطيات العصر إن «لا يمكن لأي إنسان أن يقفز فوق زمانه»، حسب تعبير ريجيس دوبريه. هذه القاعدة المنهية في التأمل مع